ما هي الفلسفة ؟

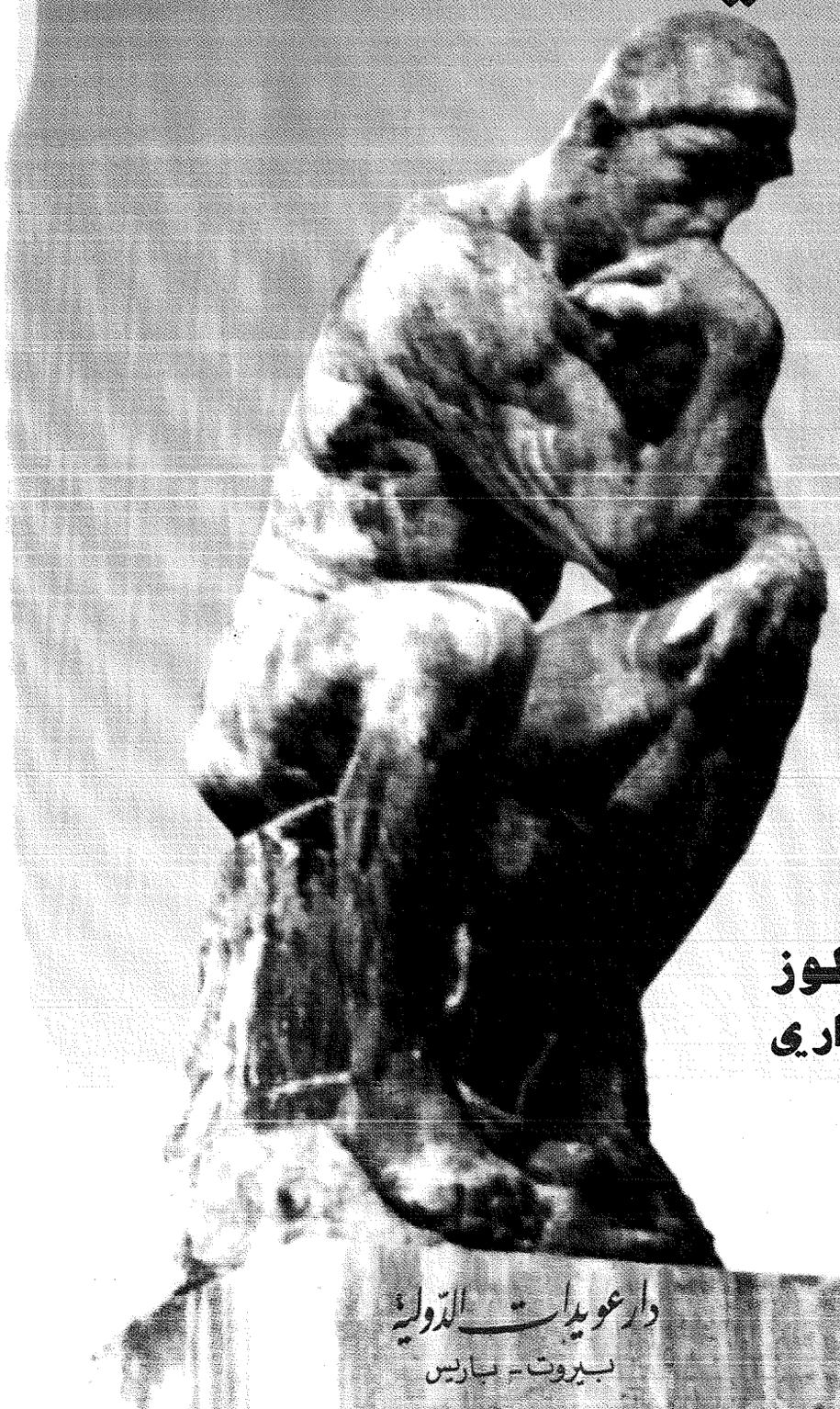

جيل دولوز
فيليكس غتاري

دار عويدات الدولية
بيروت - باريس

جيل دولوز فيليكس غتاري

ما هي الفلسفة ؟

دار ع

ما هي الفلسفة ؟

اللافلسفي هو ربما في قلب الفلسفة ، أكثر من الفلسفة ذاتها ، مما يعني أن الفلسفة لا يمكن أن تكتفي بأن يتم فهمها على نحوٍ فلسفي أو مفهومي ، بل تتوجّه أيضاً ، في جوهرها ، إلى غير الفلاسفة .

الفلسفة لا تتأمل ، لا تفكر ، لا تتصل ، حتى ولو أنه يتوجّبُ عليها خلقُ مفهومات Concepts . فالتأمل والتفكير والإتصال ليست فروع علم بل آلات لتكوين كليات Universaux في كل الفروع . وإذا كانت الفلسفة هي هذا الخلق (الابداع) المستمر للمفهومات ، فما هي يا ترى المفهومة كفكرة فلسفية ، ما هي إذاً الأفكار الابداعية التي ليست مفهومات ، والتي تعود إلى العلوم والفنون ؟

إن حصرية خلق المفهومات تضمن للفلسفة وظيفة ، دون أن تمنحها تفوقاً ، إمتيازاً ، إذ أن هناك أشكالاً عديدة من التفكير والخلق .

إن السؤال الأساسي الذي يحاول المؤلفان الاجابة عليه عبر هذا الكتاب هو التالي : ما هي الجدوى من نشاط خلق المفهومات ، بما هو يتميز عن النشاط العلمي والفني ؟ لماذا يجب خلق مفهومات ودوماً مفهومات جديدة ؟

إنها المصالحة الكبرى بين الفن والعلم والفلسفة . تريد هذه العلوم الثلاثة أن تغطس في العماء Chaos ؛ إنها تمدّ مسطحات على العماء . كل فرع علم هو في علاقة مع السبي : حتى العلم هو في علاقة مع اللاعلم .

بوجيز العبارة ، يبين دولوز وغتّاري أن الفلسفة هي بحاجة لـ « لا فلسفة » ، بحاجة لفهم لا فلسفي ، كما الفن بحاجة لـ « لا فن » ، والعلم لـ « لا علم

$ 6.00
100
DEL.M
030293

جيل دولوز
فيليكس غتّاري

Türkiye Diyanet Vakfı
İslâm Araştırmaları Merkezi
Kütüphanesi

مَاهِيَ الفَلسَفَة؟

تعريب
الدكتور جورج سعد
أستاذ في الجامعة اللبنانية

دار عويدات الدولية
بيروت - باريس

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلفين ولـ
منشورات عويدات
بيروت ـ باريس

الطبعة الأولى ١٩٩٣

تقـديـم

في القاموس الفلسفي (فرنسي ـ عربي ـ للاساتذة وهبة، كرم وشلاله) كلمة essence تعني: ذات الشيء. وفي القاموس الفلسفي للدكتور إبراهيم مدكور، فهي تعني: ذات. أما في المنهـل فان كلمة essence تعني جوهر، ذات، ماهية، كنه، وكلمةSubstance هي جوهر، ماهية، مادة. يجدُ القارىء احياناً إذاً المعاني ذاتها لكلمات مختلفة، ومعانٍ مختلفة للكلمة ذاتها. وهذا قليل من كثير. إذا كانت اللغةُ الفلسفيةُ هي على قدرٍ كبير من الصعوبة، فإن نقلها إلى لغة الضاد لهو اصعب بكثير، لا سيما إذا كان النص يستخدم تعابير جديدة، طازجة، يعمد الفيلسوف إلى خلقهـا لتوِّه. يقـعُ المترجم لإول مـرة على كلمة «fonctif»، وهو لا يعرف قريباً لها سوى كلمة «fonction». يلجأ إلى قواميسه ويشرع بعملية التفكيك. وسرعان ما يعرف أنها مشتقة من «fonctio» اللاتينية وتعني «الايفاء»، وأن اللاحقة(suffixe) if من ivus اللاتينية تُستخدم لتكوين صفات. والقاموس لا يقول أكثر من هذا. هنا، لا بد من قراءة النص بأكمله لمعرفة المعنى الذي أراده الكاتب. وهاتِ أن تَجِدَ له المرادفَ بالعـربية، المـرادفَ المفهومَ، لا بـالنسبة الى المتـرجم، ولا حتى للاخصائي، بلْ عند القارىء العادي.

لا نؤيد من يقول إن الفلاسفة الجدد، وتلامذة الفلاسفة القدماء، يكتبون بلغة هي أكثر صعوبة من لغة اساتذتهم. وفي هذا اتّهام بـالتفلسف. لكن في هذا أيضـاً تسرعـاً بـالحكم... وربما ظلمـاً. تحدثنـا عن كلمـة «fonctif» غيـر الشـائعـة وعن مشـاكـل الاشتقاقات. بيد أن في لغة دولوز وغتاري مشكلة اخرى، هي بنية الجملة بحد ذاتها، وهو أسلوب لا نقرأه في جميع مجالات العلوم الانسانية الاخرى. كأن يقول: Divers mouvements de l'infini sont tellement mêlés les uns aux autres, que loin de rompre l'Un– tout du plan d'immanence....(*)

أو الجملة التالية: Tout au long d'un état de choses, même un nuage ou

* أنظر صفحة ٤٦ من هذا الكتاب.

un flux, nous cherchons à isoler. des variables..[*] فـالمشكلة في جمل كهـذه ليست في الكلمات بل في التركيب والمعنى المقصود. وهنا، امام كلمات الفيلسوف، ما على المترجم الا الصمت: اصمت وترجم وكن مخلصاً للمعنى. لذا، لتوضيح المعنى، اضفتُ بعض التفسيرات وهي موضوعة إما بين هلالين مستقيمين []، إما في الهوامش [*].

أما النقاش الفلسفي المحض والافتراضات الفلسفية فهي تأتي في مرحلة لاحقة؛ كمن يترجم قواعد رياضيات. وبالفعل فإن من ينقل الى العربية 7 = 5 +2 لتصبح ٢+ ٥= ٧، تكون ترجمته مخلصة وصحيحة حتى ولو لم يعرف لماذا ٢+ ٥= ٧. ما نقوله لا يخلو من بعض المبالغة.

العمل الجماعي هو الحل

لست في معرض الحديث عن مشاكل الترجمة والتعريب وهي كثيرة، كما لستُ في وارد الاعتذار المسبق عن اخطاء ممكنة. لقد وضعتُ هذه الترجمة محاولاً الاخلاص قدر الامكان لفكر الفيلسوفين. اما قصدي مما قدمتُ فهو ملاحظةُ ضرورةِ العمل على ثَبْتِ المصطلحات العربية، في جميع فروع العلوم الانسانية. ولا بد لهذا من عمل جَماعي، أي تكوين لجان من اخصائيين في كافة الفروع. وكلنا يعرف ان عصرنا اليوم هو عصر تداخل العلوم، لا سيما في مجال العلوم الانسانية والاجتماعية. لقد ولّى زمن الفلسفة المحض، والقانون المحض... وحتى الرياضيات المحض (نقرأ هذه الايام مقالات عديدة حول العلاقة بين الرياضيات وعلم النفس). الكتابُ الذي بين ايدينا، ورغم أنه يحمل عنوان «ما هي الفلسفة؟»، يعالج مسائل في الرياضيات والقانون وعلم الاجتماع والفن، بحيث أن الترجمة المثالية ينبغي أن تقوم بها لجنة من الاخصائيين في كافة الفروع. علم الاجتماع السياسي هي مادة تدريس في برنامج العلوم السياسية للجامعة اللبنانية: الى متى تدريس مادة فلسفة القانون وعلم إجتماع القانون في كليات الحقوق؟

عمل الترجمة قصة حب

لغة هذا الكتـاب، لغة صعبـة. هل قصـد الكاتبـان ذلك، لأنهمـا من «الطليعـة المثقفة»، ولأن بعض فصائل هذه الاخيرة لا تُحبُّ أن تُفهمَ لغتُها؟ من الصعب علي حسمُ هذا الموضوع في مقدمة الكتاب. اتركُ الحكمَ للقارىء. اعتقد أن العلم... الفلسفة،

* أنظر صفحة ١٦١ من هذا الكتاب.

القانون، علم الإجتماع... والترجمة هي قصة حب، ومن لا يحبُّ لا يُعطي. الترجمة هي إشتغال بكلمات نحبُّها، في اللغتين المترجمة والمترجم إليها. والحب ليس بحاجة، كما تعلمون، لدكتوراه، (وما أكثرها)، ولا لسيارة فخمة، في داخلها استاذ مكتفٍ بحاله، يعمل سمساراً أو صرافاً خارج «الدوام»، ولا يحب الكلمات التي يدرِّسُها. كيف يمكن ترجمة l'Un– tout du plan d'immanence إن لم نحبها؛ كيف يمكن أن ننقل إلى العربية إذا كنا لا نعشق هذه اللغة... واللغة المنقول منها. هاتوا لي مترجماً منتجاً مخلصاً طموحاً ربع فاشل يحب الكلمات والقارىء وابعدوا عني كفاءات متفلسفة تكره القراءة والكلمات، ولا تنتج سوى النقد والازدراء.

ما هي الفلسفة؟

اكون متغطرساً إذا زعمتُ أنني قادر على إيجاز ما أراده الكاتبان من هذا الكتاب، أي ما أرادا الوصول إليه. بل سأتوقف عند محطات رئيسية:

نشعُرُ عند قراءة الفصل الأول من هذا الكتاب أن الفلسفة في خطر وأن همّ الكاتبين هو إنقاذها من الضياع. لذا سوف يلجأن إلى تحديد ما ليست الفلسفة: إنها ليست تأملاً، ولا تفكراً، ولا إتصالاً حتى ولو اعتقَدَتْ إنها تارة هذا الشيء وطوراً ذلك، بسبب من قدرة كل فرع علم على توليد أوهامه الخاصة والاختباء خلف ضبابة يعدّها لهذه المهمة.

الفلسفة هي الخلق الدائم للمفهومات

الفلسفة لا تتأمل، ولا تفكر ولا تتصلne communique pas، مع أن عليها أن تخلق مفهومات لهذه النشاطات والاهواء. فالتأمل والتفكر والاتصال ليست فروع علم، بل أدوات لصنع الكليات في جميع فروع العلم. ويتساءل الكاتبان: إذا كانت الفلسفة لا تكفُّ عن التغير، فالسؤال هو في معرفة أية وحدة تبقى للفلسفات؟ هل يحصل الشيء نفسُهُ بالنسبة للعلوم، للفنون، التي لا تقوم على المفهومات؟ وماذا عن تاريخ كلٍ منها؟ إذا كانت الفلسفةُ هذا الخلقَ [الابداع] المستمرَّ للمفهومات، فالسؤال هو، ما هي المفهومة كفكرة فلسفية، وأيضاً ما هي الافكار الخلاقة الأخرى التي ليست مفهومات، والتي تعود إلى العلوم والفنون، وتنعَمُ بتاريخها الخاص، وسيرورتها الخاصة، وعلاقاتها المتنوعة الخاصة فيما بينها والفلسفة.

القانون والفلسفة

إن للشخصيات المفهومية ميزات قانونية، طالما يستمرُّ الفكر بالمطالبة بما يعود إليه «في الحق» /en droit/، ويتصارع مع العدالة منذ ما قبل السقراطيين: ولكن هل هذه هي سلطة الطامح أو حتى المتشكي، كما تنتزعها الفلسفةُ من المحكمة التراجيدية اليونانية؟ أَوَلَنْ يحُظَرُ على الفيلسوف، لمدة طويلة، أن يكون قاضياً، وفي أحسن الاحوال، فقيها مجنّداً في قطاع عدل اللّه.

والتجريبيون، وتلك الشخصية الغريبة التي يطلقونها: المحقق (l'enquêteur)؟ كانط، هو الذي يجعل من الفيلسوف قاضياً، في الوقت نفسه الذي يُشكِّلُ فيه العقل محكمةً، ولكن هل هذه هي سلطة تشريعية لقاضٍ محدِّد (déterminant)، أو السلطة القضائية، إجتهادِ قاضٍ مفكّر؟ وفي هذا دعوة لثورة تقلب كل شيء رأساً على عقب: قضاة ومحامين، مدّعين، مُتهِمين ومُتّهَمين...

عنجهية الرأسمالية الغربية

لماذا لا تزال الفلسفة حيةً بعد موت اليونان؟ لا يمكن القولُ إن الرأسماليةَ عبر العصر الوسيط هي التكملةُ للمدينة اليونانية. ولكن تجرُّ الرأسماليةُ أوروبا الى عملية اقتلاع من المكان نسبيةٍ، تُرجعُ أولا الى مدن ـ حواضر. تستندُ المنتوجات الاقليمية الى شكل مشترك قادر على إجتياز البحار: «الثراءُ بصورة عامة»، «العمل بحصر المعنى»، والالتقاء بين الاثنين عبر السلعة. يبني ماركس بالضبط مفهومة للرأسمالية، بتحديده العاملين الرئيسيين، العمل العاري والثراء الصافي، مع منطقتها القابلة للتمييز عندما يشتري الثراءُ العملَ: وبحق يتساءل دولوز وغتاري: لماذا الرأسماليةُ في الغرب، أكثرَ مما هي في الصين في القرن الثالث أو حتى الثامن... ويمكن أن نضيف: في جبل لبنان وعند العرب. إن الغرب يركِّبُ ويضبط عناصره ببطء، فيما الشرق يمنعُها من الاكتمال. إن العوائق الخارجية غدت تكنولوجية فحسب، ووحدها تبقى التنافساتُ الداخلية: سوقٌ عالميةٌ تمتدُّ حتى حدود الارض، قبل أن تمرَّ في المجرّة. حتى الهواءُ أصبح سلعةً تباعُ وتشرى. ليس هذا تكملة للمحاولة اليونانية، ولكنها استعادة على نطاق مجهول سابقاً، بشكل آخر وبوسائل أخرى، مع أنها استعادةٌ تُطلقُ من جديد التركيبة التي حمل اليونانيون مبادرتها: الامبريالية والديمقراطية الكولونيالية.

أيضاً وأيضاً، ما هي الفلسفة؟

الميزة الرئيسية لهذا الكتاب تكمن في أن الكاتبين، أو الفيلسوفين يخرجان الفلسفة من معقلها، ينزلانها من عرشها لتخاطب الناس بلغة اشتراكية وحانقة: فحقوق الانسان (حقوق الغرب) هي مبادىء أولية. وقد تتعايشُ في السوق الرأسمالية مع مبادىء أخرى، لا سيما حول أمن الملكية، التي تجهل تلك المبادىء، أو توقف مفعولها، أكثر مما تعارضها: «هذا الخليط النجس، هذا التجاور النجس»، كما يقول نيتشه. وبالفعل، من يسعُهُ الامساك بالبؤس وادارته، وانتزاع الاحياء المُعْدَمَة /bidonvilles/ من مكانها، وإعادة استقرارها من جديد، في امكنة اخرى، غير الشرطة، والجيوش النافذة التي تتعايش مع الديمقراطيات؟

إنه لموقف رائع ولكن لا بد من التساؤل هنا: لماذا لم يعطِ الفيلسوفان للفلسفة العربية حقها. كيف تعرّفَ الغرب يا ترى على الفلسفة اليونانية؟ ألم يكن ذلك بفضل العرب؟

بقليل من اليأس، بكثير من الأمل، يطلب الكاتبان في نهاية الكتاب الحماية من العماء والفوضى. لا شيء أكثر إيلاماً، ومغامةً من فكرٍ يهرُبُ من ذاته، وأفكارٍ تهرُبُ، أكَلَها النسيانُ أو رمى بها... نتلقى ضربات الكرباج التي تصفق كشرايين. نفقد افكارنا باستمرار. لذا نريد التعلق بآراء نهائية وأسماء.

بعد تمييز الفلسفة عن كافةِ العلوم الأخرى، لا يطلب الكاتبان في نهاية الكتاب الا الصلح والمصالحة، أَوليست المصالحة ميزةَ نهايةِ هذا القرن. فالمصالحة التي يريدها الكاتبان، ليست مع اللّه ولا بين الدول ولا مع إقتصاد السوق اللعين، ولا مع تجار الاسلحة، بل بين الفلسفة والعلم والفن: ليس المطلوب أن يقالَ فقط إن على الفن أن يكوِّننا، أن يوقظنا، وأن على الفلسفة أن تعلمنا تصور الامور، وعلى العلم أن يعلِّمنا المعرفة...

بل الصرخة النهائية هي:

الفلسفة بحاجة للافلسفة تفهمها، بحاجة لفهم غير فلسفي، مثلما الفن بحاجة للافن، والعلم لِلاعلم.

جورج خليل سعد
دكتور في الحقوق
استاذ في الجامعة اللبنانية